حظيت المظاهرات والاحتجاجات الواسعة التي شهدتها الكثير من المدن السورية، والتي انطلقت من مدينة درعا وامتدت للعديد من القرى والمدن السورية باهتمام المراقبين في إسرائيل نظراً لدلالاتها الخطيرة، و بخاصة على ضوء التطورات التي تشهدها العديد من الدول العربية في الأسابيع الأخيرة؛ فبينما أعتبر بعضهم أن اقتراب »الثورة العربية من الحدود الإسرائيلية« بحكم الموقع الجغرافي لمدينة درعا القريب من الحدود الأردنية , تغييراً استراتيجياً عميقاً وسط عجز النظام السوري عن قمعها، يرى آخرون أن سقوط نظام بشار الأسد ، سوف يدخل إسرائيل في حالة من عدم اليقين والضبابية الشديدة .

ويمكننا استعراض القراءة الإسرائيلية للثورة السورية الوليدة في محورين رئيسيين، سنسعى من خلالهما رصد التوجهات الإسرائيلية حيال مستقبل الأوضاع في سوريا، ومصير نظام الأسد والتداعيات الإقليمية لذلك.

المحور الأول: الموقف الإسرائيلي الرسمي من تطورات الأوضاع في سوريا:

على الرغم من أن كافة التقديرات الإسرائيلية الصادرة خلال السنوات القليلة الماضية بشأن إمكانيات حدوث أي مواجهات بين النظام السوري ومعارضيه كانت تؤكد على أن لدى الرئيس بشار الأسد من القدرة ما يجعله واثقاً في مسألة بقاءه في السلطة والحفاظ على كرسي الحكم, إلا أنه يمكن القول أن الأحداث التي تشهدها المدن السورية حالياً جعلت كبار مسئولي وزارة الدفاع وأجهزة الاستخبارات في تل أبيب يراجعون تقديراتهم بهذا الشأن وهو ما يتضح فيما يلي:

(تقديرات الجيش الإسرائيلي) : نقلت صحيفة هآرتس عن مصادر عسكرية إسرائيلية قولها:

1. إن الجيش الإسرائيلي يستعد لاحتمال أن تحاول سوريا القيام بتصعيد عسكري عند الحدود الشمالية لإسرائيل في هضبة الجولان أو الحدود مع لبنان بهدف صرف الأنظار عن الاحتجاجات الجارية في المدن السورية ضد نظام بشار الأسد.

2. تستعد قيادة الجبهة الشمالية في الجيش الإسرائيلي لوضع قد تحاول فيه السلطات السورية استخدام حزب الله أو تنظيم آخر يأتمر بأوامرها في لبنان لتسخين الجبهة على طول الحدود الشمالية.

فيما يرى موشية يعلون وزير الشئون الإستراتيجية في الحكومة الإسرائيلية في تصريحات للإذاعة العبرية أ نه لا توجد احتمالات كبيرة بأن يقوم الرئيس السوري بتسخين الحدود الشمالية بهدف صرف الأنظار عن ما يحدث في بلاده من اضطرابات، مضيفاً أن ما يحدث في المنطقة من تطورات لا ينطوي على تهديدات فقط، وإنما أيضاً على نافذة فرص جديدة من الممكن تفتح أمام إسرائيل في حال سقوط نظام الأسد.

(أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية) : نقلت صحيفة معاريف العبرية عن مصادر وصفتها بالمطلعة قولها أن:

1. الاستخبارات الإسرائيلية تتابع عن كثب الأحداث الجارية في الأيام الأخيرة في سوريا، وأنه خلافاً ل لتقديرات السابقة تحدثت عن استقرار النظام السوري في دمشق، إلا أنه بعد الأيام الأخيرة يبدو أنه سيكون من الصعب على الرئيس السوري إعادة الوضع إلى ما كان عليه سابقا.

2. إن الأسد وأعوانه سيكونون مشغولين جدا في قمع الاحتجاجات الداخلية وأن التأهب في إسرائيل حاليا هو على المستوى الاستخباري, ولا توجد مخططات لحشد قوات الجيش الإسرائيلي عند الحدود مع سوريا أو لبنان.

)تقديرات المستوى السياسي(جاءت معظم التصريحات الصادرة على لسان المسئولين السياسيين ال

إسرائيليين في هذا الصدد للتحذير من مغبة تحريض النظام السوري لحزب الله وحماس للعمل ضد إسرائيل

في الوقت الحالي لصرف الأنظار ما يحدث في سوريا، خاصة وأن عناصر إيرانية وعناصر من حزب الله الشيعي اللبناني تشارك في قمع المظاهرات والاحتجاجات الشعبية في سوريا وان بعض رجال الأمن الذين يقومون بتفريق المتظاهرين المحتجين يتكلمون فيما بينهم باللغة الفارسية.

المحور الثاني: التداعيات الإقليمية للاحتجاجات السورية:

بطبيعة الحال ظلت الأحداث التي تشهدها سوريا الآن ومنذ اللحظات الأولي لتفجرها محط أنظار كبار المحللين والمعلقين في وسائل الإعلام ومراكز الأبحاث الإسرائيلية ويمكن القول أن الاهتمام بالشأن السوري فاق الاهتمام بالشأن الليبي خلال الأيام الأخيرة لما تمثله سوريا من أهمية بالغة بالنسبة لإسرائيل، وفى هذا الإطار رصدت وسائل الإعلام العبرية التداعيات المرتقبة للثورة السورية، وانعكاسات إمكانية سقوط نظام الرئيس بشار الأسد على المستوى الإقليمي، والتي يمكن إجمالها في النقاط التالية:

1. (المتضررين من سقوط الأسد) : أعد أستاذ تاريخ الشرق الأوسط المتخصص في الشؤون السورية في جامعة تل أبيب، السفير الإسرائيلي السابق في واشنطن البروفيسور إيتمار رابينوفيتش تقرير نشرته صحيفة "يديعوت أحرونوت" ذكر فيه:أنه "إذا سقط النظام في سوريا فإن المتضررين الأساسيين هم إيران وحماس وحزب الله". مشيراً إلى أنه في ظل الوضع الراهن فإن "المطلوب أن تكون هناك سياسة إسرائيلية يكون في صلبها قراءة صحيحة للتطورات الداخلية في سوريا إلى جانب تأهب أمني وحوار وتنسيق مع الولايات المتحدة وشركاء آخرين وانفتاح تجاه الفرص الكامنة في الوضع الجديد".

2.) سقوط التحالف الإيراني – السوري (: كتب مدير كلية الآداب في جامعة تل أبيب البروفيسور أيال زيسر المتخصص في الشؤون السورية واللبنانية في تحليل نشرته صحيفة "إسرائيل اليوم" : "خلال العقد الأخير لم تخف القيادة الإسرائيلية آمالها بأن يبقى بشار في كرسيه، فرغم كل شيء حافظ النظام السوري بقيادته على الهدوء الأمني على طول الحدود مع إسرائيل في جبهة هضبة الجولان، لكن في السنوات الأخيرة تحول بشار إلى حليف قريب لإيران وسمح لها بتحويل حزب الله إلى قوة كبيرة تشكل خطرا كبيرا على إسرائيل".

وأكد زيسر أن "سقوط بشار يعني انهيار الحلف غير المقدس بين سوريا وبين إيران وحزب الله. ومن هنا فليس هناك داع لأن تخشى قيادات تل أبيب من سقوط نظام بشار الأسد.

3. (الموقف بالنسبة لإسرائيل) : توقف المحلل السياسي في صحيفة 'هآرتس'، ألوف بن، عند ما أسماه بموجة التظاهرات التي حدثت في سوريا، معتبراً أن هذه التظاهرات تقرب الثورة العربية من الحدود الإسرائيلية، بحكم الموقع الجغرافي لمدينة درعا , وتطرق إلى إمكانية فشل الحكم في سوريا في وضع حد للتظاهرات، مشيراً للنقاط التالية:

- سقوط نظام بشار الأسد سيدخل إسرائيل في حال من الغموض وعدم اليقين.
- هذه الحالة من عدم اليقين تجد تعبيرا لها في جملة من الأسئلة، أهمها: من سيسيطر على مخزون صواريخ سكود ذات الرؤوس المتفجرة الكيماوية؟ من سيقود الجيش على جبهة الجولان؟ هل سيكون ورثة الأسد أكثر انفتاحا على الغرب وإسرائيل، أم على العكس، سيحاولون تصعيد حدة المواجهة لنيل مشروعية داخلية وإقليمية، كما فعل النظام القائم؟ وإذا ما فشلت الثورة، وبقي الأسد على كرسيه، فهل سيجرب من

جديد عملية السلام للحصول على هضبة الجولان من إسرائيل، كبوليصة تأمين لبقائه؟ هل سيكون هناك معنى، بالنسبة إلى إسرائيل، في استمرار المفاوضات والاتفاقات مع حاكم من شأنه أن يسقط؟.

· كل واحد من هذه الاحتمالات تحمل في باطنها مخاطر وفرص لإسرائيل في آن واحد, وأعاد المحلل الإسرائيلي إلى الأذهان تاريخ ما اسماها بالعلاقات المركبة التي أدارتها إسرائيل مع الرئيس حافظ الأسد ومع ابنه بشار، لافتاً إلى أن النظام السوري رفع راية المقاومة وسعى إلى تحقيق توازن استراتيجي مع إسرائيل، وفي الوقت نفسه مثّل ميناء مستقرة للنظام الإقليمي وشريكا لعملية السلام.

4).التحليل الإسرائيلي للثورة السورية(: أشار البروفيسور ايتمار رابينوفتش محلل الشئون العربية بصحيفة يديعوت أحرونوت إلي ما يلي:

· يتصدى نظام بشار الأسد الآن للازمة الأشد التي يواجهها منذ ورث كرسي أبيه في يونيو .2000 فـفي مقابلة طويلة منحها بشار الأسد لصحيفة "وول ستريت جورنال" تباهى الأسد باستقرار نظامه على عكس نظام الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك , لكن في نهاية المطاف وصلت موجات الصدى "للربيع العربي" إلى سوريا أيضا.

· تتغذى المعارضة بعداء الأغلبية السنية للحكم العلوي وأيضا من أحساس الكثيرين بان النظام متحجر، فاسد ويمنع دخول سوريا إلى التيار المركزي للحياة في القرن الواحد والعشرين.

· خلافا لمصر، ليس في سوريا فارق حقيقي بين النظام والجيش. كلاهما يعكسان الهيمنة العلوية، والعناصر المختلفة للنخبة يعرفون ما هو الثمن الذي سيدفعونه إذا ما سقط النظام. للقمع وللذبح في بداية الثمانينيات يوجد أثر مزدوج في سوريا اليوم. الحساب الدموي للأغلبية السنية مع النظام ينتظر تسديده، ولكن الكثيرين يخشون من أن المقاومة العنيفة ستؤدي إلى حمام دماء آخر.

· حاليا، رد النظام بمزيج غير ناجح من اقتراح الإصلاحات والتنازلات والقمع العنيف، ولكن أغلب الظن ليس في ذلك ما يمنع التمرد المدني. كما أن هناك مؤشرات على جدال داخل النظام بين المؤيدين لإصلاحات بعيدة الأثر وبين أولئك الذين يدعون بأن مثل هذه الإصلاحات ستعرض وجود النظام للخطر. زعامة الأسد ستختبر في قدرته على بلورة سياسة ناجحة وفرضها على النظام.

· يحمل تغيير النظام السوري الكثير من الفرص والأخطار في آن واحد ، ربما ينعكس من خلال فترة طويلة من انعدام الاستقرار، التي ستكون آثارها بعيدة المدى على الشرق الأوسط وعلى أمن إسرائيل، فيما يعتبر سقوط نظام بشار بمثابة ضربة شديدة لإيران ولخططها التوسعية. فإلى الآن كانت إيران أبرز المستفيدين من التطورات في المنطقة. سقوط مبارك، الأحداث في البحرين التوتر في اليمن، عملت كلها على تعزيز محور المقاومة بل وصرفت الانتباه الدولي عن برنامجها النووي, أما سوريا فهي الحجر الرئيس في المحور المؤيد لإيران. فسواء ضعف نظام الأسد أو سقوطه، فسيكون ضربة قوية لإيران، لحزب الله ولحماس.

· استمرار الصدامات واحتمال القمع العنيف في سوريا سيخلقان معضلة للولايات المتحدة وحلفائها, فالتدخل في ليبيا وجد تبريره في أنه لا يجب السماح للقذافي بذبح المواطنين الليبيين المطالبين بالحرية والديمقراطية، لذا سيتعين على أوباما وشركائه أن يشرحوا لماذا لا يتدخلون لمنع سفك دماء في سوريا.

5 .)التحليل الاسرائيلي لشخصية بشار الأسد) : أشار معلق الشئون السياسية بصحيفة معاريف العبرية عوديد جرانوت إلى هذا السياق من خلال تقرير له جاء فيه:

· أن حكام المنطقة الذين استيقظوا على كابوس متواصل ذات صباح، ينقسمون إلى معسكرين واضحين حسب ردود أفعالهم على ثورات شعوبهم ضدهم ,فمنهم من اختار الخضوع لإرادة أبناء شعبه ومنهم من ا ختار ذبحهم.

· رئيسا تونس ومصر ينتميان للنوع الأول، حيث استغرق كل منهما أقل من شهر كي يفهم بأنه حان وقت الرحيل. بن علي التونسي هرب، مبارك خرج إلى منفى طوعي داخل بلاده. بتعبيرات شرق أوسطية – ثمن رحيلهما بالقتلى والجرحى من بين المواطنين كان زهيدا.

· أما معمر القذافي هو بلا شك من النوع الثاني، وعلى هذا المنوال يمكن تصنيف بشار الأسد، فهو لن يتردد في قتل المزيد والمزيد قبل أن يخلي منصبه، وربما ذلك يرجع إلى جملة من الأسباب من بينها:

.1 العنصر الجيني العائلي: رغم أن الحديث (لا يزال) يدور عن أعداد مختلفة تماما من الضحايا، فان هناك خيط يربط بين المذبحة التي ارتكبها أبوه حافظ الأسد بحق المسلمين في حماة في 1982 وبين قتلى هذا الأسبوع في درعا، في صنمين، وحتى في دمشق.

.2 الانتماء الطائفي: بشار ليس وحيدا. فهو ممثل الطائفة العلوية التي هي طائفة أقلية، ولكنها تتمتع بكل مميزات السلطة، لذا إذا رحل دون صراع فسوف تخسر الطائفة العلوية في سوريا كل هذه المكاسب وإلى الأبد.

.3 القناعة الداخلية: الأسد الذي يرى نفسه كبطل الكفاح ضد إسرائيل، ببساطة لا يعتقد أنه حان وقته للرحيل.

.4 الدعم الإقليمي: احمدي نجاد وحسن نصر الله على حد سواء اللذان عقدا حلفا مع الأسد الشاب لا يعتقدان بان عليه أن يرحل.

.5 الازدواجية الأخلاقية الدولية: الأسد يقدر بأن وضعه أفضل بكثير من وضع القذافي. فهو يعرف أن اوباما وساركوزي وكمرون سيفكرون ألف مرة قبل أن يقدموا على إطلاق الصواريخ على القصر الرئاسي في دمشق فقط كي يحموا المنتفضين. إلا إذا اكتشف فجأة بان قسما كبيرا من الجيش وقوات الأمن لديه (ليس أولئك المنتمين للطائفة العلوية) يرفض التسليم بذبح المواطنين وينضم إلى المتظاهرين.

في ختام استعراضنا لهذا المحور نطرح السؤال الذي يشغل بال الصهاينة في تل أبيب، وهو هل بقاء بشار الأسد في سدة الحكم السوري هو مصلحة إسرائيلية؟ على الرغم من العداء العلني بين سوريا تحت قيادة الأسد وإسرائيل...أكد معظم المحللين الإسرائيليين في كتاباتهم التحليلية وتعليقاتهم السياسية، على أن تل أبيب تعتبر بشار الأسد رغم كل شئ شريك يمكن التنبؤ بتصرفاته وسيؤدي إسقاطه لا محالة إلى حالة من عدم الاستقرار التي ستمتد لفترة طويلة.

ويمكن في هذا السياق عرض ما ذكره جابرييل بن دور مدير دراسات الأمن القومي بجامعة حيفا وقال ما يلي: "ستفضل تل أبيب أن يستمر الأسد في الحكم , وتنطبق في هذه الحالة مقولة من تعرفه أفضل ممن لا تعرفه" , وأضاف "لا يعتقد أحد في إسرائيل أن الاضطرابات في سوريا ستفرز الأفضل وأن الخوف الأساسي يكمن في أنه إذا رحل الأسد من هناك فسيؤدي هذا إلى فترة طويلة من عدم الاستقرار .

وقال بن دور "لن يستطيع أي نظام جديد في سوريا تعريض شرعيته للخطر بالتوصل إلى أي اتفاق مع إسرائيل , غير أنه إذا استمر الأسد في الحكم فقد يبدي مرونة اكبر تجاه الغرب في محاولة لتعزيز اقتصاد سوريا وإخماد الغضب الشعبي بشأن الفقر والبطالة , وبخلاف مصر لم تعقد سوريا سلاما مع إسرائيل بعد حرب عام 1973 لكنها تقيدت بشدة بالتزاماتها الخاصة بفك الارتباط فأنشأت واقعا أمنيا ناسب الجانبين على مدار السنين , وبطبيعة الحال فان إسرائيل لا تسعدها مساندة سوريا لاثنين من ألد أعدائها وهما حزب الله اللبناني وحركة المقاومة الإسلامية الفلسطينية (حماس).

فيما يرى بعض المحللين الإسرائيليين أن التغيير في دمشق قد يفيد إسرائيل في نهاية المطاف، لكن آخرين يقولون انه إذا أدت الاحتجاجات في سوريا إلى إسقاط القيادة في دمشق كما حدث في تونس ومصر

فـمن المتوقع أن يملأ الإسلاميين السنة الفراغ الذي سيخلفه غياب الأسد ويجعلون البلاد أكثر تشددا.

إجمالاً يبدو أن الكيان الصهيوني يفقد حلفائه وعملائه داخل الوطن العربي واحد تلو الآخر، سواء من كانوا فاعلين منهم مثل الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك، أو الصامتين مثل بشار الأسد، والذين بأفعالهم وتواطئهم مع الغرب والولايات المتحدة الأمريكية ساهموا في منح الكيان الصهيوني الضوء الأخضر للعربدة والعبث بأمن ومصير منطقتنا، وممارسة شتى ألوان العدوان والبلطجة ضد إخواننا من أبناء الشعب الفلسطيني واللبناني، فها هو الوقت قد حان لثورة الشعوب العربية لتحطيم أغلال أنظمتها المجحفة ليفتح الطريق أمامهم للقدس والمسجد الأقصى لتحريره من دنس الصهاينة وأعوانهم...بمشيئة الله عز وجل.

كاتب المقالة : د. سامح عباس
تاريخ النشر : 27/04/2011
من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفر
رابط الموقع : www.mohammdfarag.com